



تفسير القرآن الكريم
سوريا - دمشق - مسجد عبد الغني النابلسي



تفسير سورة البقرة شرح الآيات 47-56

nooraldeen.com

22/05/2026

سورة البقرة - 10: شرح الآيات 47-56

(002) سورة البقرة

2026-05-22

سورية - دمشق

مسجد عبد الغني النابلسي

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.
بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا الأمين وعلى آله وأصحابه أجمعين.
اللهم علّمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علّمتنا وزدنا علماً وعملاً مُتَقَبَّلاً يا رب العالمين.
اللهم أخرجنا من ظلمات الجهل والوهم إلى أنوار المعرفة والعلم، ومن وحول الشهوات إلى جنّات القربات.
وبعد أيّها الكرام: فهذا لقاءنا التاسع من لقاءات سورة البقرة، ونحن مع الآية السابعة والأربعين من السورة وهي قوله تعالى:

يَسْمِ اللّٰهُ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ
يَا بَنِي إِسْرَآئِيْل اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ (47)

(سورة البقرة)

هناك عدة نقاط يجب توضيحها في تفسير هذه الآية أو في تدبرها.
الأمر الأول كما أسلفنا، إسرائيل هو يعقوب عليه وعلى نبينا السلام، وبنوه هم ذريته، وإسرائيل بالعبرانية بمعنى إسرائيل أي عبد الله أو صفوة الله.
والله تعالى يُخَاطِبُ هنا بني إسرائيل ويأمرهم أن يذكروا نعمة الله تعالى عليهم، وخاطب أمة الإسلام وأمرهم أن يذكروا الله:

يَسْمِ اللّٰهُ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ

ينبغي ألا نكتفي بالنعمة بل أن نتنقل من النعمة إلى المنعم:

أنت إذا ذكرت الله فقد وصلت، لأنَّ الله عزَّ وجل هو المنعم، المُتفضِّل، المُوجد، الخالق، البارئ، المُصوِّر، وأنت إذا ذكرت نعمته عليك فوصلت إليه من خلالها فقد وصلت، لكن المصيبة كل المصيبة أن تذكر النعمة وتبقى فيها، أن تذكر النعمة فقط ثم لا تخرج من النعمة إلى المنعم، فهذه هي مصيبة المصائب، ويبدو أنَّ بني إسرائيل كان انشغالهم بالنعمة واضحاً، فكانوا لا يلتفتون إلى المنعم، لذلك يُذكرهم الله تعالى بنعمته **(اَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ)** أي لا تكتفوا بالنعمة وإنما انتقلوا من النعمة إلى المنعم. اليوم مُعظم الناس يعيشون النعمة، يمشي، يذهب، نعمة الصحة، عنده كفاية يومه، عنده زوجته، عنده طعامه، عنده شرابه، يعيش مع النعمة، لكن من ذا الذي تنقله النعمة إلى المنعم؟ هذا هو القصد من ذكر نعمة الله. **(اَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ)** وهذا تكرار لما سبق، لكن الآن سيعطى عليه شيئاً جديداً، وهذا من روائع اللغة، أنك إذا أردت أن تذكر معنىً جديداً، أن تُعيد القديم وأن تعطي عليه، فقبل آيات قال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ (40)

(سورة البقرة)

أي إنَّ إيفاءكم بعهدي هو شكرٌ لنعمتي عليكم، الآن كرِّر المولى **(اَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ)** وعطف شيئاً جديداً: **(وَأَيُّ فَضْلَتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ)** اذكروا هذه النعمة.

التفضيل لا يقتضي دائماً الأفضلية:

(وَأَيُّ فَضْلَتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ) يا كرام التفضيل لا يقتضي دائماً الأفضلية، سأضرب مثالين ليتضح ذلك:

أنت عندك ولدان وتُحب واحداً أكثر من واحد، وهذا لا ينبغي عند الأب أن يميل إلى وليٍّ أكثر من ولد، لكن نقول من واقع الحياة، فتميل إلى أحدهما لأنه مُتفوق، لأنه جميل الصورة، لأنه يركع، لأنه يُلبِّي طلباتك، تميل إليه أكثر، ففضلته بهدية، أهديته هدية لم تُعطها لأخيه، أعطيته شيئاً خاصاً به، هنا التفضيل يقتضي الأفضلية، لأنه أفضل عندك من الثاني، أعطيته شيئاً وفضلته به على الثاني هذا واضح.

لكن لو أنَّ عندك ولدين واحداً منهما مُتفوقٌ ومُتميز، ودائماً علامته منه من مئة، والثاني كسول ودائماً علامته أربعون وخمسة وأربعون، بالكاد ينجح، ففضلت الثاني الكسول على الأول بأساتذٍ خاصين، جئت له بِمُدَرِّسٍ خصوصي، والمُدَرِّس الخصوصي يحتاج إلى مبلغ مالي، واعتنيت به عنايةً زائدة، وسجلته في دورةٍ لمادة الرياضيات، وأخرى للإنكليزي، فأنت فضلتَه لكن هل هو أفضل من أخيه؟ لا، على العكس أخوه أفضل منه، لكن فضلتَه لعلَّةٍ فيه، لأنه بحاجةٍ دعمٍ أكثر، لأنه مُتكَاسِلٌ، ففضلتَه بأشياءٍ لم تُعطها لأخيه.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ خَافِطَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّا تِي تَخَافُونَ نُشُورَهُنَّ وَقِعْطُوهُنَّ وَأَجُرُوهُنَّ فِي الْمُصَاحِبِ وَأَصْرُهُنَّ ۚ فَإِنْ أَضَلَّكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا (34)

(سورة النساء)

فالتفضيل لا يقتضي الأفضلية، ففضَّلَ الله الرجلَ بالقُدرة على الإنفاق، وفضَّلَه بالقُدرة على الحكمة والقيادة، وفضَّلَه بالقُدرة على إدارة شؤون الأسرة، وفضَّلَها عليه بالقُدرة على رعاية الأولاد والعاطفة الشديدة، والقُدرة على تحمُّل الأبناء وما فيهم من مشاق، فضَّلَ الله بعضهم على بعضٍ، لذلك:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ ۚ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا كَتَبْنَا ۚ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا كَتَبْنَا ۚ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ يَكُلُّ شَيْءٍ عَالِمًا (32)

(سورة النساء)

كل واحد يفتن ويرضى بما فضله الله به، فكلنا مُفَضَّلُونَ وكلنا مُفَضَّلٌ علينا، فأنا مُفَضَّلٌ بشيءٍ وغيري مُفَضَّلٌ عليّ بشيءٍ آخر، والتفضيل لا يقتضي الأفضلية. فبنو إسرائيل لما قال تعالى: **(وَأَتَىٰ فَضْلُكُم مِّنَ اللَّهِ عَلَىٰ الْعَالَمِينَ)** لا يفهم من ذلك أنهم الأفضلية، ما الدليل؟

أكذوبة شعب الله المختار:

قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُمْ ۖ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ (18)

(سورة المائدة)

هنا أبناءه بمعنى نحن كأبنائه في شدة القرب منه، أي يُحِبُّنا كثيراً **(وَأَحِبَّاؤُهُ ۖ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُمْ ۖ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ)** أي أنَّ هذا الادعاء لا أصل له، الله لا يُعَذِّبُ أحبابه، فما دمتم سُعْدِيُونَ بسبب ذنوبكم فأنتم لستم أحباب الله تعالى، أحبابه لا يُعَذِّبُهُم، الحبيب لا يُعَذِّبُ محبوبه، ونحن نُحِبُّ الله تعالى ونرجو الله تعالى ألا يُعَذِّبَنَا. قد يتلينا، قد يُصَيِّبنا ببعض المصائب، قد يمتحننا، هذا ليس عذاباً، هذا ارتقاء ورفع درجاتٍ وتكفير سيئات، لكن الحبيب لا يُعَذِّبُ محبوبه **(قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُمْ ۖ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ)**.

فقال: **(وَأَتَىٰ فَضْلُكُم مِّنَ اللَّهِ عَلَىٰ الْعَالَمِينَ)** فهذه الأكذوبة شعب الله المختار، هذه من عندهم، الله لا يختار شعباً على شعبٍ، ولا أمةً على أمة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (13)

(سورة الحجرات)

وانتهى.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ (48)

(سورة البقرة)

(وَاتَّقُوا يَوْمًا) هو يوم القيامة، ونكره للتهويل والتعظيم، التنكير أحياناً يُقصد به التهويل والتعظيم.
(وَاتَّقُوا يَوْمًا) أي يوماً عظيماً:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا غُوبًا ۖ قُمَطِّرَآ (10)

(سورة الإنسان)

عندنا نفسان نفسٌ جازيةٌ ونفسٌ مجزيةٌ عنها:

يومٌ تشبهُ لهوله الولدان (لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا) إذاً عندنا نفسان، نفسٌ جازيةٌ ونفسٌ مجزيةٌ عنها.
رئيس مخفر الثَّقَلِ مُتَهَمٌ بسرقةٍ وجيء به إليه، هذه نفس، الآن جاءت نفسٌ أخرى تريد أن تشفعَ له، ما الذي يحصل أولاً؟ أولاً يُحاول هذه النفس أن تجزي عنه، يمكن أن يقول له: هذا الرجل مُهَمٌّ عندنا حُذْ أحداً مكانه - وهذا معاذ الله - أنا أجلس مكانه (لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا).
المحاولة الثانية يقول له: أنا أشفعُ له، أنا فلان بن فلان هل تقتل شفاعتي؟ يقول له: لا، هذا سارق يجب أن يُحاسَب.
الحالة الثالثة يقول له: كم تُريد فديةً تُعطيك (وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ) فديةٌ (وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ) ليس لهم ناصرٌ ولا مُعين من الله عزَّ وجل.
فهنا يتحدث الله عن النفس الجازية التي جاءت تُريد أن تفعل شيئاً لتفك نفساً أخرى، قال: لا، ممنوع.
في الآية مئة وثلاث وعشرون من سورة البقرة يقول تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةُ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ (123)
(سورة البقرة)

مثل هذه تماماً، ثم يقول: (وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةُ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ) هناك يتحدث عن النفس المجزية، عن النفس الأخرى (وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ).

ليس هناك تكرارٌ بالقرآن:

نعود لمثال رئيس المخفر، يقول له المأسور: أدفع لك المال أخرجني، يقول له: لا (وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةُ) يأتيه من يشفعُ له: (وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةُ) ليس هناك تكرارٌ بالقرآن، هنا يتحدث عن النفس الجازية التي جاءت لتفدي نفساً أخرى.
في الآية مئة وثلاث وعشرين يتحدث عن النفس المجزية التي وقعت وألقي القبض عليها فلا فكاكَ لها.
فلذلك هنا قال: (وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةُ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ) وهناك قال: (وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ) يقول: أخرجني، يقول له: لا، ولا تنفعها شفاعَةٌ من جاء ليشفعُ له، انظروا إلى الدقة القرآنية.

نعم الله المُتتالية على بني إسرائيل:

ثم يشرع المولى جلَّ جلاله بتعداد نعمائه على بني إسرائيل، وقد قلنا إذا قرأت في القرآن "وإذ" معناها: واذكروا إذ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَإِذْ تَجَنَّبَكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُوكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُدَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِّنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ (49)
(سورة البقرة)

أي من جماعته، من حزبه، من أتباعه ممن معه (يَسُومُوكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ) يُذيقونكم أسوأ أنواع العذاب، ما هو هذا العذاب؟ شرحه قال: (يُدَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ) إمعاناً في الإذلال يُيقون النساء للخدمة ويذبحون الأبناء، لكي لا يأتي منهم هذا الولد الذي سيقضي على مُلكِ فرعون، لكن الذي سيقضي على مُلكه ربُّاه فرعون في قصره.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِّصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَنَوَاهُ عَسَىٰ أَن يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (21)
(سورة يوسف)

البلاء هو الامتحان:

أراد الله أن يُرَبِّي فرعون في قصره من سيقضي على ملكه **(وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ)** بلَاءٌ وامتحانٌ عظيم أن تكون تحت قهر جهةٍ قويةٍ مُتَغَطِرةٍ، كما كان الحال في بلادنا قبل سنة ونصف وأكثر، قهرٌ شديد، جهةٌ ظالمةٌ مُتَغَطِرةٌ تُريد أن تفعل ما تُريد في هذا البلد، وتُريد أن تقتل وأن تسجن وأن تعتقل وألا ينطق إنسانٌ بكلمةٍ واحدة، قهر **(وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ)** البلاء هو الامتحان.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ۖ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً ۚ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ (35)

(سورة الأنبياء)

حتى إن بعض المُفسِّرين قالوا: **(وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ)** تعود على **(وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ)** أي البلاء في النجاة، لأنَّ الإنسان يُمتَحَن عندما ينجو ويُمتَحَن عندما يُقَهَّر، البعض من المُفسِّرين قالوا: **(وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ)** تعود على **(وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ)** وليس: **(وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ)** و**(وَبَنَّاكُمْ)** و**(وَبَنَّاكُمْ)** معنى جميل، أي أن البلاء في أننا نجيئناكم بلاءٌ عظيم أيضاً.

الآن نحن ربنا عز وجل نجانا من هؤلاء القوم الظالمين، هذا بلاءٌ عظيم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قَالُوا أُودِعْنَا مِن قَبْلِ أَن نَأْتِيَنَّا وَمِن بَعْدِ مَا جِئْنَا قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَهْلِكَ عِزُّكُمْ وَتَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ (129)

(سورة الأعراف)

وما كان منهم أيضاً بلاءٌ عظيم، فتعود: **(وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ)** على النجاة، هذه: **(وَنَبْلُوكُم بِالْخَيْرِ)** وتعود على: **(تَسْؤُمُوكُم سُوءَ الْعَذَابِ)** وهذه: **(وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ)** وكلاهما معنى صحيح ويحتمله النص.

(وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ) امتحان، لكن عندما يقول لك الله تعالى: **(بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ)** بلاءٌ من الرب يخف، لأنَّ الربَّ هو المُربِّي، يُربِّيكَ، يُحَبِّبُكَ، يُريد لك الخير، يمتحنني فما دام من الله فهو مقبول، في الظاهر أن بلاء البشر من فرعون، لكن في الحقيقة: **(بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ)** فما دام الربُّ العظيم الذي يُربِّيني ويحبُّني يتليني، فأنا راضٍ بابتلائه، صابرٌ عليه، واقفٌ منه الموقف الأكمل والأمتل.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُم الْبَحْرَ فَأَنجَيْنَاكُم وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ (50)

(سورة البقرة)

نعمةٌ أخرى، لما وصل موسى إلى البحر وقال أصحابه:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فَلَمَّا تَرَأَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرِكُونَ (61)

(سورة الشعراء)

والعدو من خلفهم والبحر من أمامهم، ففرق الله البحر، أي جعله فرقين:

الله عز وجل أحياناً يجعل الكافر يركب حماقاتٍ لا يتصورها عقل:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ اصْرِبْ بَعْضَكَ الْبَحْرَ ۖ فَانْقَلَبْ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ (63)

(سورة الشعراء)

ومشى موسى في داخله، فلما وصل فرعون، الله عز وجل أحياناً يجعل الكافر يرتكب حماقات لا يتصورها عقل، دخل وقال: الطريق من أجلي، فعاد البحر فوقه وأغرقه وأغرق جنده (وَإِذْ قَرَفْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ نَنْظُرُونَ) أمام أعينكم ثم الأمر وأنتم تنظرون إلى هلاكهم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَإِذْ وَاَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ (51)

(سورة البقرة)

هذه المواعدة من أجل تلقّي التوراة، المنهج.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَوَاَعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ قَتْمٍ مِيقَاتٍ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ (142)

(سورة الأعراف)

كان أحدهم يقرأ القرآن وهذه قصة واقعية فقال: وإذ واعدنا موسى أربعين ليلة ثم أتمناها بعشر فتمّ مِيقَاتٍ رَبِّهِ خمسين ليلة، فقال له أحدهم: لا تحفظ القرآن فهمناها لكن أيضاً لا تعرف أن تحسب؟ فهذه أربعون من أجل تلقّي المنهج، الوحي من السماء، ففي غيابه انتهزوا الفرصة، والسامري:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَداً لَهُ خَوَاطِرٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَىٰ قَتْسِي (88)

(سورة طه)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ (92)

(سورة البقرة)

أي اتخذتم العجل إلهاً، حدث المفعول به الثاني لأن الآية تدل عليه، والبلاغة في الإيجاز (ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ) أي اتخذتموه إلهاً. (وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ) أي وأنتم ظالمون لأنفسكم كما سيأتي بعد قليل.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (52)

(سورة البقرة)

العفو لا يقتضي دائماً عدم العقوبة:

يُقال عَفَتَ الريح الأثر أي أزالته، أي عندك أثرٌ على الرمل جاءت ريحٌ فأزالت الأثر، فالعفو هو الإزالة يُنبئ عن الإزالة، فيعفو الله تعالى عن الذنب أي يُزيله من صحيفتك (ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ) لكن العفو لا يقتضي دائماً عدم العقوبة، يعني ربُّنا عَزَّ وَجَلَّ قد يعفو ويُعاقب، العفو أنه أزاله من صحيفتك يوم القيامة، لكن قد يكون هناك عقوبةٌ عليه في الدنيا، كما سيأتي بعد قليل.
(لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) أي لعلكم تشكرون نعمة الله عليكم في أنه عفا عنكم بعد هذا الفعل العظيم، وهو أنكم اتخذتم العجل إلهاً.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (53)

(سورة البقرة)

(الْكِتَابُ) هو التوراة (وَالْفُرْقَانُ) هي التوراة، قال بعض المفسرين: عَطَفَ عطفٌ تفسيري، أي كأنَّ سائلاً سأل ما هو الكتاب؟ فقال له الله تعالى هو الفرقان الذي يُفَرِّقُ الله تعالى به بين الحقِّ والباطل، وبين الحلال والحرام، هذه مهمة الكتاب، نحن هذا القرآن نقرأه من أجل أن نحلَّ حلاله ونُحرِّم حرامه، من أجل أن نعرف الحقَّ من الباطل.
قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا (1)

(سورة الفرقان)

كل كتاب أنزله الله تعالى هو فرقان:

فقرأنا فرقان، والتوراة فرقان، والإنجيل فرقان، وكل كتاب أنزله الله هو فرقان، فقالوا: هذا عطفٌ تفسيري، وقال بعضهم: الواو زائدة في اللغة، طبعاً زائدة للتوكيد (وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ) الفرقان، أي الكتاب الذي صفته أنه يُفَرِّقُ بين الحقِّ والباطل، فيوضح لك الحقَّ من الباطل، قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَعْفِ عَنْكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (28)

(سورة النور)

فالقرآن يُنير لك الطريق، فترى الحقَّ حقاً والباطل باطلاً، أمّا الناس الذين يسبرون بغير منهج، ممكن أن يفعل المُنكرات وهو يرى أنَّ لا شيء فيها، وكأنه لم يفعل شيئاً.
(وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ) أي لعلكم تستدلون على الحقِّ والباطل من خلال الكتاب.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (54)

(سورة البقرة)

سيدنا موسى عنده طبيعة انفعالية:

(يا قوم) تحبب وتودد، أي لم يتخل عنهم رغم هذه المعصية الكبيرة، سيدنا موسى عنده طبيعة انفعالية، يعني لما رجع ورآهم قد اتخذوا العجل:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي ۖ أَعْجَلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ وَأَلْقَى الْأَلْوَحَ وَآخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّوْنِي وَكَادُوا يَقْتُلُونِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (150)

(سورة الأعراف)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي ۖ إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي (94)

(سورة طه)

تمهل عليّ (ولم ترقب قولي) لم تسمع مني، اسمع حجتني، سيدنا موسى واضح بكل قصصه أنه عنده طبيعة انفعالية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينٍ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتُلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ ۖ فَاسْتَعَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَرَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ ۖ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ (15)

(سورة القصص)

قال له:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ ضَآئِرًا وَلَا أُعْصِي لَكَ أَمْرًا (69)

(سورة الكهف)

الطبايع يجب أن تُسَخَّر في طاعة الله:

ثلاث مرات ثم يسأل، فعنده طبيعة انفعالية، الناس طبايع لكن ليست المُشكلة أن تكون ذا طبيعة مُعَيَّنة، المُهم في طبيعتك أن تستخدمها في طاعة الله، نحن كلنا عندنا إيمان بالله بمنعنا من الوقوع في المعاصي والآثام، عن قصد وعن عمد وعن الإصرار على الذنب إن شاء الله، لكن هناك طبايع بالبشر، هذه الطبايع يجب أن تُسَخَّر في طاعة الله، فالانفعالي ينفعل إذا انتهكت حُرُمات الله، والهادئ يستخدم هدوءه وحكمته في الدعوة إلى الله وهكذا، فالطبايع نستخدمها في طاعة الله.

(يَا قَوْمِ) يعني رغم أن طبيعته انفعالية ما ترك قومه، بعد أن هذا:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَاخَ ۖ وَفِي نُحُوتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ (154)

(سورة الأعراف)

قال: (يَا قَوْمِ) تَسْبِيحُهم إليه أنتم قومي، لم أتخل عنكم رغم فعلتكم، أحياناً يقول أحدا: ابني لم أعد أريده سأترك منه، يقول له: هَوْن عليك، مهما فعل قُل له يا بُنَيَّ، لأنه يبقى ابنك من لحمك ودمك، فيه بذرة خير، حاول أن تُنمِّيها مهما أخطأ، الطالب قُل له: يا أخي، يا حبيبي، شريكك في العمل، دائماً أنترك شعرة معاوية بينك وبين الناس.

(يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ) هنا وصَّح الظلم، الله تعالى قال: (ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ) وموسى هنا قال لهم: (إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ).

أعظم ظلم أن يُشْرَكَ بالله عز وجل:

أحبابنا الكرام: الذي يُشْرِك بالله هذا أعظم ظلم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ ۚ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ (13)

(سورة لقمان)

وبعد ذلك دونه كل ظلم، والظلم أن تضع الشيء في غير موضعه، فالعبادة لمن؟ لله وحده، فلما عبدوا العجل ظلموا أنفسهم، لأن الله تعالى خلقهم ليعبدوه فوضعوا أنفسهم في خدمة عجله، الظلم أن تضع الشيء في غير موضعه، والعدل أن تضع الشيء في موضعه، الفاطع الكهربائي يجب أن يوضع في مكان مناسب، إذا فتحت الباب تجده مقابل فتحة الباب بارتفاع موازٍ ليدك، لكن إذا جاء كهربائي ووضع أسفل الحائط فهذا ظلم، هذا ليس هنا مكانه، وإذا وضعه خلف الباب، فتحت الباب ودخلت فيجب أن أغلق الباب لأصل إلى الفاطع هذا ظلم، فقالوا: الظلم أن تضع الشيء في غير موضعه، فنفشك خلقها الله لعبادته، فلما تضع العبادة في غير الله فقد ظلمت نفسك ما ظلمت ربك.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَطَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَى ۖ كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (57)

(سورة البقرة)

كما قال تعالى في ختام هذه الصفحة.

(إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمْ) هذه باء السبب، أي بسبب اتخاذكم العجل إلهاً (فَقُوبُوا إِلَىٰ تَابِ رَبِّكُمْ) ارجعوا إليه، التوبة هي الرجوع، والثوبة هي الرجوع، والأوبة هي الرجوع.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمَّا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُضِلًّا ۖ وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ (125)

(سورة البقرة)

معنى: "مَتَابَةً لِلنَّاسِ":

ما معنى متابة؟ الناس يذهبون ويعودون، يقول لك: والله اشتقنا، تقول له: لم يمض شهران، يقول لك: والله أشعر بالشوق إلى العودة (مَتَابَةً لِلنَّاسِ) ينوبون إليه، والتوبة رجوع إلى الله عز وجل، والأوبة يؤوب إلى بيته يرجع إلى بيته، فكلها بمعنى واحد.

فقال: (قُتُبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ) أحببنا الكرام: ربنا خالق، بارئ، مُصَوِّر، الخالق من عدم على غير مثال سابق، البشر يخلقون، هل يجوز أن يُطْلَق على البشر الخلق؟ ممكن لأن الله قال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
ثُمَّ خَلَقْنَا الطُّفَّةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ
الْخَالِقِينَ (14)

(سورة المؤمنون)

الإنسان لا يخلق بمعنى الخلق لكن الله يخلق من العدم:

فالإنسان ممكن أن يُطْلَق عليه أنه خَلَقَ شيئاً، ولكن على المجاز وليس على الحقيقة، لأنه هو يُنشئ شيء على مثال سابق، ويُنشئ ليس من العدم وإنما من مجموعة أشياء، تقول مثلاً: الإنسان اخترع الطائرة، لكن كلمة اختراع بالأصل فيها خطأ، الأصل اكتشاف، لأنَّ القوانين موجودة لكنها كانت مغطاة وهو اكتشفها، أرخميدس لم ي اخترع دافعة أرخميدس بل اكتشفها، اكتشف أنَّ هناك شيء عندما تضغط شيئاً داخل الماء هناك قوة معاكسة تدفعه للأعلى، هو كشف شيء موجود لكن ما أوجده من العدم، فالتائرة على مثال سابق، لولا أنَّ الإنسان رأى الطائر يطير في الهواء، لما تخيل أنه ممكن لإنشيء أن يطير في الهواء، هلي هي خَلَق من عدم؟ لا، هي تركيب أشياء موجودة، الوقود موجود في باطن الأرض، والحديد موجود، والبلستيك موجود، فجمعهم، فالإنسان لا يخلق بمعنى الخلق، لكن الله يخلق من العدم، على غير مثال سابق.

معنى البارئ والمُصَوِّر:

البارئ: برئ السهم أي سَوَّاهَا، قال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الَّذِي خَلَقَ قَسْوَى (2)

(سورة الأعلى)

فالبرء هو التسوية، لو أنَّ الله عز وجل خلقه ولم يجعل له أنفأ يشمُّ فيه، هذا لم يبرأه أوجده من عدم، لكن البارئ جلَّ جلاله هو الذي هدى الإنسان إلى سُبل حياته.

المُصَوِّر: هو الديكور الأخير، الصورة الحسنَة التي نحن عليها (أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ (4)

(سورة التين)

هذا المُصَوِّر جلَّ جلاله، خَلَقَ عَيْنان وليست عيناً واحدة، الأنف فوق الفم، إذا كنت ستأكل طعاماً فاسداً وأنت تضعه على فمك فتشم رائحته، لأنَّ الأنف في موضعه المناسب، التقط الرائحة الكريهة فكان حاجزاً لك، الدماغ ضمن الجمجمة لأنه جهازٌ مهم، القلب ضمن القفص الصدري، العين ضمن المحجر، الأجهزة المهمة جعل لها حمايةً جلَّ جلاله.

فرُبنا جلَّ جلاله، خَلَقَ، بَرَّئ، صَوَّر، فقال: (قُتُبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ) وكأنه يحثهم على التوبة، مزيداً من الخت لأنَّ الله هو الذي بَرَّأكم، وصَوَّركم، وأحسن صوركم.

(قُتُبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ قَافِلُوا أَنْفُسَكُمْ) قال المُفسِّرون: (قَافِلُوا أَنْفُسَكُمْ) أي ليقثل بعضكم بعضاً، يعني ليقثل من لم يعبد العجل من عبد العجل، لذلك قُلت لكم: إنَّ العفو لا يقتضي ترك العقوبة، تمامه أن يقوموا بذلك، وهي في شريعتهم وهي عقوبة لهم، لأنهم لمَّا جعلوا أنفسهم في عبادة غير الله تعالى وعبدوا العجل، كان لا بُدَّ أن تذوق هذه النفس العقوبة، لأنه لا قيمة لها إن لم تتوجَّه إلى الله تعالى فقال: (قَافِلُوا أَنْفُسَكُمْ).

(دُيُكُمْ حَبْرُ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ) أي أنَّ هذا أفضل لك من أن تستحقَّ الجحيم إلى أبد الآبدين، إذا ذاق الإنسان بعض العذاب في الدنيا، أليس ذلك خيراً له من عذابٍ أبديٍّ مُقيم؟ قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَلَذِيقَتَهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَذَىٰ ذُوْنَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (21)

(سورة السجدة)

التوبة تخلية والرحمة تحلية:

قال: (فَتَابَ عَلَيْكُمْ) أي قِيلَ توبتكم (إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ) التوبة تخلية والرحمة تحلية، التواب كثير التوبة على عباده يغفر الذنوب جميعاً (إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ) لم يغد هناك ذنوب (الرَّحِيمُ) يُلْقِي فِي قَلْبِكَ هَذِهِ الرَّحْمَةُ الَّتِي يَمْتَلِئُ بِهَا قَلْبُكَ، حُبًّا، وَدًّا، قُرْبًا، إِحْسَانًا، الرَّحْمَةُ اسْمٌ جَامِعٌ لِكُلِّ خَيْرٍ (إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَرَىٰ اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ (55)

(سورة البقرة)

مشكلة بني إسرائيل أنَّ إيمانهم لا يكون إلا بالمحسوس:

أحبابنا الكرام: (وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَرَىٰ اللَّهَ جَهْرَةً) هؤلاء بنو إسرائيل كما قلت لكم في بداية سورة البقرة، عندهم مشكلة أنَّ إيمانهم لا يكون إلا بالمحسوس، ما عندهم إيمان بالغيب، سورة البقرة كلها موضوعها أن نُعلِّمنا الإيمان بالغيب، قال تعالى في مُفْتَتِحِهَا:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (3)

(سورة البقرة)

تُريد سورة البقرة أن تصل بالمؤمن إلى الإيمان بالغيب، لا تكن كبني إسرائيل، بنو إسرائيل عندهم مُشكلة أنهم لا يؤمنون إلا بالمحسوسات، فقالوا: (لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَرَىٰ اللَّهَ جَهْرَةً) بعد كل هذا تُريد أن نرى الله جهرة! والله تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ (103)

(سورة الأنعام)

جَلَّ جلاله.

من رحمة الله بنا أن جعل لنا أشياء لا تدركها الأبصار ولكننا نؤمن بوجودها:

وربُّنا عَزَّ وَجَلَّ من رحمته بنا جعل لنا أشياء في الدنيا لا تدركها الأبصار ولكننا نؤمن بوجودها حتى تطمئن نفسك.

يعني مثلاً: نحن جسدٌ وروح، والبعض قال: جسدٌ وروحٌ ونفس، على كُلِّ، الروح هل رأى أحد الروح التي في جسده؟ لا، هل رآها وهي تخرُج؟ لا، لكن استدللَّ أنَّ هذا الجسد عندما تخرُج منه الروح، إذا إنسان رأى مِيتاً أمامه، يكون المِيت يتحرك فجأةً يُصيحُ جُنَّةً هامدة، وإذا تُرك ولم يُدقن يتعفن، ما الذي كان فيه؟ روح، هل رأيتها؟ لا، هل أدركها بصرك؟ لا، فإذا كانت الروح التي خلقها الله تعالى في الإنسان لا تُرى بالعين، ولا تُدرك بالأبصار لكنك تؤمن بوجودها، لأنها هي التي تجعل الحيَّ حيًّا، فما بالك بالخالق؟ ولو أنهم قالوا: أَرِنا الروح لما أخذتهم الصاعقة، لكن قالوا:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُثَرِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَعَقَوْنَا عَنْ ذَلِكَ وَأَتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَانًا مُّبِينًا (153)

(سورة النساء)

الروح نفسها:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَتَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ۚ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا (85)

(سورة الإسراء)

فكيف برؤية الله عز وجل؟!
موسى عليه السلام أيضاً:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ نَرَايَ وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ ضَعِيفًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ (143)

(سورة الأعراف)

لكن ما الفرق بينه وبينهم؟ هم قالوا: (لَنْ تُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَرَى اللَّهَ) أما هو ما ربط إيمانه برؤية الله، معاذ الله الأنبياء لا يفعلون ذلك، هو قالها اشتياقاً وحباً، ولَمَّا كَلَّمَهُ رَبُّهُ امتلأ قلبه شوقاً وحباً له، فطلب طلباً غير صحيح، لكن الدافع له هو دافع حُبٍّ وليس دافع أنني أريد الرؤية حتى أزداد إيماناً، فقال: (أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ) ورغم ذلك رُبُّنا عز وجل علمه درساً، قال: (فَلَمَّا أَفَاقَ) أي كانت غشيته بسيطةً أفاق منها استفاقةً (فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ) مُجَرَّدَ أَنِّي طلبت هذا الطلب ولو كان حباً واشتياقاً فقد كان ظلماً، أما هم طلبوه من أجل الإيمان: (فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ) ثم قال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّن بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (56)

(سورة البقرة)

وليس أفقئ، أي صاعقةً شديدة، موثٌ شديدٌ عظيم، نازلٌ من السماء، صحيحة، على اختلافٍ بين المفسرين، لكن هو بالنتيجة الموت، الصاعقة هنا موثٌ عظيمٌ أخذكم (وَأَنْتُمْ تَجِلُّونَ) (55) ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّن بَعْدِ مَوْتِكُمْ انظروا إلى نعم الله المتتالية عليهم، أي رغم كل هذا الطلب، ورغم أن الله أمانهم ثم أحياهم (ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّن بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) نعمة الله عليكم على هذه البعثة بعد الإمامة.

هذا والله تعالى أجلُّ وأعلم، والحمد لله رب العالمين.